AL-QANATIR
INTERNATIONAL JOURNAL OF ISLAMIC STUDIES
eISSN: 2289-9944
Vol. 15. No. 1. July Issue (2019)

THE PURPOSES OF SHARIA THOUGHT OF MUHAMMAD SA'ID RAMADAN AL-BUTI: STUDY AND APPLICATION

مقاصد الفكر الإسلامي عند الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي دراسة وتطبيق

Methaq Sadeq Mahmood Hazaea Al-Muliki[i]

[i] Doctor of Philosophy of Usul Fiqh. Academy of Islamic Studies, University of Malaya. mithaq1990@gmail.com

Abstract

The current research aims to study the purposes of thought, and illustration of how to enhance them, and their role at Al-Buti,. The reason for all that is to demonstrate all cultures and thought perceptions are related to the worship of the almighty Allah, away from the conflicts and disputes. Accordingly, the researcher highlights the contributions of Al-Buti, in the purposes and thought analyzed and combined. In addition, the researcher clarifies the role of thought purposes at martyred Al-Buti,. The researcher arrives to the following conclusions: The sound Islamic thought is the one which matches all the perceptions and purposes of Sharia. The thinker is not called a real Islamic thinker unless all his perceptions and culture pertain to the core of Islam, and carry the correct meaning of servitude and fear of Allah. The real role of Islamic thinking in all its aspects is to fulfil the thralldom to Allah, and benefit the others, far away from being a fuel to crisis, or a bridge for whims and caprices.

Keywords: *Thought, Al-Buti, Purposes, Role, Sharia*.

ملخص البحث

هذا البحث يدور حول دراسة مقاصد الفكر، وكشف وسائل تنميته، ثم دوره عند البوطي وذلك لجعل جميع الثقافات والتصورات الفكرية تُظهر جوهر الإسلام وحقيقته، وتُربِط سائر التصورات الفكرية بالعبودية لله تعالى بعيدةً عن الصراعات والمجادلات. فلذا قام الباحث بإبراز إسهام البوطي في المقاصد والفكر ثم تحليلهما، والجمع بينهما، كما قام الباحث بدراسة الوسائل التي تنمي مقاصد الفكر عند المفكر، ثم وضح دور مقاصد الفكر عند الشهيد محمد سعيد رمضان البوطي. وقد توصل الباحث إلى نتائج وهي أن الفكر الإسلامي السليم هو المطابق بجميع تصوراته لمصادر الشريعة ومقصدهما، ولا يمكن عقلا ولا نقلا أن يسمى المفكر مفكرا إسلاميا حتى تكون جميع تصوراته وثقافاته تُعرِّفُ بجوهر الإسلام وتحمل في مضمونها معنى العبودية والخشية لله، وأيضا دور مقاصد الفكر الإسلامي في جميع جوانبه هو تحقيق معنى عبودية الله ونفع الأخرين، وليس خادما للصراعات، والمجادلات الخادمة للنفس والهوى والشيطان.

الكلمات المفتاحية: الفكر، البوطي، المقاصد، الدور، الشريعة.

مقدمة

أشاد القرآن الكريم بالفكر، وجاءت العديد من الآيات الدالة على الفكر والتصور، وقد اختلفت نظرة العلماء لمقصود الفكر ومفهومه، ودوره، فالبعض حصره بتصورات خاصة بعيدة عن المقصد الشرعي والبعض لم يربط بينه وبين العبودية لله حتى نتج من ذلك الكثير من الأفكار والآراء والاختلافات التي أضرت بالشريعة الإسلامية وعقيدتها، ومن خلال قراءة وتتبع الباحث لمؤلفات البوطي وجد المفهوم الشامل للفكر ودوره الواضح في إعادة الفكر الإسلامي الصحيح المربوط بالعبودية والمبني على منهج القرآن الكريم، والسنة النبوية، وبقية مصادر الشريعة الإسلامية، فلذا جاءت هذه الورقة لدراسة الفكر، ومقصوده عند البوطي ثم توضيح وسائل تنميته، وإبراز دوره وتطبيقاته عند البوطي.

مشكلة البحث

إن كلمة الفكر الإسلامي صارت كلمة مشهورة في أوساط المجتمعات الإسلامية ويتخذ الكثير من العلماء هذا الإسم اعجابا به، لكن الواضح حاليا أن محتوى الفكر الإسلامي يُدس فيه الكثير من الأفكار المعارضة لمقصود الشريعة الإسلامية حتى صار وسيلة لجلب الكثير من الأفكار الفلسفية والعقائدية التي نتج عنها الكثير من المجادلات والمناظرات التي أثرت تأثيرا بليغا في صورة الفكر الإسلامي الصحيح، وذلك بسبب التصورات الفكرية التي أُطلق عنانها، ولم تقيد بضوابط الحقائق العلمية الثابتة، ولم يوجد فيها نوع من الربط والتخصيص بين الحكم وهدفه الأسمى وهو تحقيق معنى العبودية لله عز وجل.

فلذا حاول الباحث استقراء مقصود الفكر عند البوطي لكي يبرز المعنى السليم للفكر عند البوطي وتتضح وسائله وتنجلي جوانبه وتظهر الغاية العظمى منه، لعل يكون فيه الخير والنفع الكثير.

منهج البحث

سلك الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي للوصول إلى مفهوم مقاصد الفكر الإسلامي، ودوره عند البوطي، وذلك بتتبع تعاريف العلماء وأقوالهم والعمل على تحليلها وجلب الكثير من التطبيقات والأقوال المؤيدة لمضمون البحث من مختلف المؤلفات العامة والخاصة للبوطي

المبحث الأول: مفهوم المقاصد والفكر عند البوطي

أولا: المقاصد عند البوطي

أسهب الكثير من الباحثين بتعريف المقاصد عند العلماء من حيث اللغة والاصطلاح واعتقد أنه ليس من الضرورة ذكر التعريفات في هذا المقال، ولسوف يقتصر الباحث على إسهاب البوطي عنها.

فالمطلع على كتب البوطي يجد أن المقاصد عنده لم تكن محدودة بمقال أو بحث حتى أنه كتب الكثير من المؤلفات المتنوعة، لكنه لم يؤلف كتابا يخصص فيه مقاصد الشريعة باللفظ الصريح سواء المقاصد العامة أو الخاصة، ولكن من خلال النظر في كتبه يجد الباحث أن لديه تعريفان الأول سار فيه على ما سار عليه الإمام الغزالي والثاني مختلف لفظا ومتحد معنى، وهما كالتالي:

الأول: قال: "ومقاصد الشارع في خلقه تنحصر في حفظ خمسة أمور الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة وكل ما يفوت هذه الأصول أو بعضها فهو مفسدة".[١]

الثاني: عند شرحه للقواعد الفقهية في الشريعة الإسلامية فقال: "هي عبارة عن المحور الذي تدور عليه أحكام الشريعة الإسلامية، وهي مصالح العباد، والدليل على ذلك أن الشريعة الإسلامية في كل أحكامها المنزلة والمبسوطة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما تهدف إلى تحقيق مصالح العباد، وهي خمس مصالح".[٢]

ومن هذين التعريفين يتبين أن المقاصد عنده محصورة بحفظ المقاصد الخمسة، وهو ما سار عليه العلماء وبالأخص الإمام الغزالي، والمقاصد الخمسة هي المعنى الشامل الكامل للفكر الإسلامي.

وليس هذين التعريفين فحسب يدلان على إسهابه في المقاصد بل المطلع على كل مؤلفاته وبحوثه وخطبة يجدها مليئة باستخدام ألفاظ المقاصد المشتقة فقد سماها مرة: بالقصد والمقْصَد والمقْصُود ويُقْصد، ثم استعملها بألفاظ أخرى مختلفة كالعِلة والمعنى والمناسبة والمصلحة، ومرة بالعبر والعظات.

ومما يؤكد أن القصد له اعتباره وحُكمُه التالي:

١ـ عند حديثه عن تحريم استعمال أواني الذهب والفضة فقال: "إن القصد مُحَكَّمٌ في قيم الأعمال الإنسانية المختلفة".[٣]

---

[١] البوطي، محمد سعيد رمضان. ١٩٦٥. ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية. د.م: مؤسسة الرسالة. ص١١٩.

[٢] البوطي، محمد سعيد رمضان. ٢٠١٠. شرح كتاب الأشباه والنظائر للإمام السيوطي. الدرس الثاني (فيما شرعت النية لأجله). ٢٠١٠/٩/٢٨.

[٣] البوطي. ١٩٦٥. ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية. ص١٢٧.

٢ـ عندما أخبر عن الذين لم يعجبهم ما قاله عن التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم حيا أو ميتا، وعن ما اختاره من مشروعية القيام عند ذكره عليه الصلاة والسلام إكراما له صلى الله عليه وسلم فاعترض عليه فئة من الناس فقال: "لا أستطيع بأي حال أن أغمض العين عن مَدرك الأحكام وأدلتها".[٤]

فتقيد البوطي لتحكيم القصد في القيم الإنسانية المختلفة وعدم غمض عينه عن مدرك الأحكام وأدلتها يدل على عموم القصد وشموليته سواء كان في الأحكام الشرعية أو الفتاوى أو العقيدة أو الثقافات أو الفكر الإسلامي أو غيره، وهذا مما يبرهن أن المقاصد ليست خاصة بالأحكام فقط بل في جميع القيم ,والمبادئ ومنها الفكر الإسلامي.

ثانيا: الفكر في اللغة والاصطلاح

الفكر لغة: هو إعمال النظر في الشيء كالفكرة والفكري[٥] والفِكر: بالكسر تردد القلب بالنظر، والتدبر لطلب المعاني، ولي في الأمر فكر أي نظر، ورواية، والفَكر بالفتح مصدر فكرت، وفي الأمر من باب ضرب وتفكرت فيه، وأفكرت بالألف، والفكرة اسم من الافتكار مثل العبرة، والرحلة من الاعتبار، والارتحال وجمعها فُكر مثل سدرة، وسُدر.

ويقال: (الفكر) ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علما أو ظنا.[٦] الفكر: إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول، ويقال: لي في الأمر فِكر نظر ورأيه، ومالي في الأمر فِكر مالي فيه حاجه، ولا مبالاة.[٧] الفِكر بالكسر وبالفتح: إعمال النظر هكذا في النسخ، وفي المحكم: إعمال الخاطر في الشيء كالفكرة، بكسرها.[٨]

الفكر في الاصطلاح

معلوم أن الفكر الإسلامي تسربت إليه نظريات وأفكار فلسفية وعقدية كثيرة أثرت في صورته المشرقة وأثمرت جدالات ومناظرات عميقة، نتج عنها ظهور مذاهب فلسفية، وعقدية وكلامية أحدثت سلبيات في صرح الفكر الإسلامي فوضع العلماء تعاريف اصطلاحية، تبلور الفكر الإسلامي من الفكر الفلسفي.

---

[٤] البوطي، محمد سعيد رمضان. ١٩٩١. فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة دراسات منهجية علمية لسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وما تنطوي عليه من عظات ومبادئ وأحكام. ط١١. بيروت: دار الفكر المعاصر. ص١٦.

[٥] الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب. د.ت. القاموس المحيط. ج١. د.م: د.ن. ص٥٨٨.

[٦] الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب. د.ت. المصباح المنير في شرح غريب الكبير. ج٢. د.م: د.ن. ص٤٧٩.

[٧] إبراهيم مصطفى. المعجم الوسيط تحقيق مجمع اللغة العربية (دار الدعوة) .ج٢. د.م: د.ن. ص٦٩٨.

[٨] الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني. د.ت. تاج العروس من جواهر القاموس. ج١٣. د.م: دار الهداية. ص٣٤٥.

فقد عرفه الإمام الغزالي فقال هو: "إحضار معرفتين في القلب ليستمر منها معرفة ثالثه، وقد جعل الفكر مرادفا للتأمل والتدبر".[٩] وعرفه إمام الحرمين فقال: "الفكر يدل على النظر، والنظر في اصطلاح الموحدين: هو الفكر الذي يطلب به من قام به علما أو غلبة ظن ثم ينقسم النظر إلى قسمين إلى صحيح، وفاسد".[١٠]

وذكره التهانوي[١١]: بقوله "ولا أن النفس تلاحظ المعقولات، في ضمن تلك الحركة فقيل: الفكر هو تلك الحركة والنظر: هو الملاحظة التي في ضمنها، وقيل لتلازمهما أن الفكر والنظر مترادفان".[١٢] وعرفه طه جابر العلواني فقال: "الفكر اسم لعملية تردد القوى العاقلة المفكرة في الإنسان سواء أكان قلبا أو روحا أو ذهنا بالنظر، والتدبر لطلب المعاني المجهولة من الأمور المعلومة، أو الوصول إلى الأحكام أو النسب بين الأشياء".[١٣] وقيل: هو إعمال العقل في أمر مجهول، وترتيب أمور في الذهن، يُتوصل بها إلى معرفة حقيقية أو ظنية.[١٤]

تعريف الفكر الإسلامي عند البوطي

وأما تعريف الفكر في اصطلاح البوطي فقد وجد الباحث له تعريفين هما كالتالي:

الأول: ما يشمل سائر المحاولات والثقافات الدراسية للتعرف على جوهر الإسلام وحقيقته، ويشمل سائر التصورات الذاتية التي يعود بها الباحث أو الدارس دقيقة كانت أو سطحية، بل صحيحة كانت أم باطله بشرط أن تكون التصورات مطابقة لحقائق الإسلام.[١٥]

---

[٩] الغزالي، أبو حامد. إحياء علوم الدين. ج٤. بيروت: دار الندوة الجديدة. ص٤٢٥.

[١٠] الجويني، أبو المعالي عبد الملك تحقيق أسعد تميم. ١٩٨٥. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد. ط١. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

[١١] هو محمد بن علي القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، توفى سنة ١١٩١هـ، وهو كاتب وعالم هندي، له العديد من المؤلفات هي: كشاف اصطلاحات الفنون، وسبق الغايات في نسق الآيات، وأحكام الأراضي.

[١٢] التهانوي، محمد علي بن علي. ١٩٩٦. كشف اصطلاحات الفنون. ج٣. بيروت: دار صادر. ص١١٢١.

[١٣] العلواني، طه جابر. ١٩٩٤. الأزمة الفكرية المعاصرة تشخيص ومقترحات. منتدى سور الأزبكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي هيرندن فرجينا رمضان. ص٢٧.

[١٤] باب حماية الملكية الفكرية في الفقه الإسلامي. ٢٠٠٥. العدد ٣. المؤتمر العالمي الثالث للاقتصاد. جامعة أم القرى، مكة المكرمة. ص٦٥.

[١٥] البوطي، محمد سعيد رمضان. ١٩٩٣. الجهاد في الإسلام، كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟. ط١. دمشق: دار الفكر المعاصر. ص١١.

الثاني: هو ما يحمل في مكمنه العبودية لله ومقوماتها ومنمياتها، عند تبين أحكام الشريعة الإسلامية وتوضيح مقصودها، ومدلولها والغرض منها.[١٦]

فالناظر في تعريفات أهل اللغة والاصطلاح التي ذكرها العلماء والبوطي يجدها مختلفة لفظا ومتحدة في المعنى لكونها ثمرات واجتهادات وتصورات ذهنية يدركها العقل من أحكام الشريعة الإسلامية سواء كانت في الفتاوى أو أحكام الشريعة بصفة عامة للوصول إلى الغرض المطلوب، غير أن هذه التعريفات لم يوجد فيها نوع من التخصيص والربط بحقيقة وغاية ومقصد حتى تكون كتذكرةٍ وطريقٍ وسلوكٍ يسير عليها الباحث والقارئ وغيره، وهذا ما سلكه البوطي عند حديثه عن المقاصد والفكر الإسلامي.

ومما سبق يظهر أن مقاصد الفكر عند البوطي هي العلل والحكم الفكرية التصورية المبنية على قواعد وضوابط الشريعة الإسلامية لأجل الوصول إلى المعرفة الربانية لا لفك باب المجادلات والصراعات الشيطانية، وهذا في نظر الباحث الأشمل والأكمل، وذلك لسببين هما كالتالي:

١. تنبيه إلى ضرورة مطابقات هذه التصورات بحقائق الإسلام التي كشف عنها علومه ودلتْ عليه نصوصه.
٢. تنبيه للمفكر عند تبيين أحكام الشريعة أن تكون توضيحاته تحمل معنى العبودية لله ومقوماتها، بعيدا عن الصراعات والمجادلات، بل كل همه هو تحقيق معنى عبودية الله في نفسه، وفي الأخرين.

المبحث الثاني: وسائل تنمية مقاصد الفكر عند المفكر

أرشد الإسلام بالعديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إلى الوسائل التي تنمي مقاصد الفكر عند المفكر فالآيات والأحاديث لم تكن صريحة، وواضحة بكونها وسائل تنمي مقاصد الفكر، بل مفهومها ومضمونها أنها تنمي الفكر وتطوره؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم: {تفكروا في الخَلق ولا تفكروا في الخالِق فإنكم لا تقدرون قدره}.[١٧]

فالأمر بالتفكر والتدبر بالخلق لا بد له من وسائل ومصادر يكون بواسطتها، لكي تربط الإنسان بالآخرة، وتربط الإنسان بحياته الاجتماعية والحضارية، وقد لمح البوطي سبب عدم تقدم الحضارة الإسلامية فقال: "إن عدم تقدم بناء الحضارة الإسلامية، هو وجود الاضطراب النفسي، والفكري".[١٨] فمتى وجد الاضطراب النفسي والفكري، هُدم الفكر الإسلامي، ومتى هدم الفكر هدم العلل والحكم التصورية منه الموصلة إلى المعرفة الربانية.

فمن الوسائل الرئيسية التي تنمي مقاصد الفكر عند المفكر هي كالتالي:

---

[١٦] البوطي، محمد سعيد رمضان. ٢٠٠٣. الحكم العطائية شرح وتحليل. ج٢. بيروت: دار الفكر المعاصر. ص٢٧٨.

[١٧] الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد. ١٤١٥هـ. المعجم الأوسط. ج٦. القاهرة: دار الحرمين. ص٢٥٠.

[١٨] البوطي، محمد سعيد رمضان. منهج الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم، آفاق معرفة متجددة. د.م: د.ن. ص١٦٦.

١ـ مصادر التشريع الإسلامي

قيد المولى عز وجل العباد بمصادر تشريعية تُعد كوسائل وطرق لتنمية الفكر ومقصوده، وهي الكتاب والسنة والقياس والإجماع والاستحسان، وقد أشار البوطي إلى أن المصادر التشريعية، وسائل توصل المفكر إلى الغاية والهدف الذي خلقنا من أجله فقال: "صحيح أن هذه العبادات وسائل، ولكن الذي لا يتخذ الوسيلة لن يصل إلى الغاية أبدا".[١٩]

ولا غرابة في أن يسمي البوطي المصادر التشريعية بالعبادات فهو من باب تسمية الجزء باسم الكل فكل هذه المصادر لابد للمفكر أن يستوعبها ويدقق معانيها ومقاصدها ويطلع على اختلاف العلماء والفقهاء فيها؛ ويستمر بالبحث والتدقيق فيها، فإذا كان المفكر أو العالم أو الفقيه أو الباحث مقتصرا على مصدر واحد أو مصدرين كمصدر الكتاب والسنة، وليس له معرفة علمية بالقياس واستنباط الأحكام والإجماع والاستحسان؛ فمن هنا يأتي الدمار للتصورات الفكرية ومقصودها، وتُفتح الطريق للعدو وأصحاب الفلسفات المغلوطة بالتدخل في التصورات التي يتصورها المفكرون والباحثون في الأحكام الشرعية.

فهناك كثيراً من التصورات اليوم التي تُطرح لحل كثيرٍ من المشاكل والقضايا، وكثيراً ممن ينصرفون إلى دراسات القضايا والمشكلات الإسلامية بقراءةٍ سطحية دون معرفة عللها ومقصودها، ثم يعودن بأفكار تبنوها وتصورها وركنوا إليها؛ وهذا مما يؤدي إلى زيادة حدة وتيرة الجدال والاختلاف في القضايا الإسلامية المتجددة، وفي حقيقة الحال يُعد دمارا وخرابا للفكر الإسلامي، ومقصوده، والسبب في ذلك عدم الرجوع إلى الكيفية التي سار عليها الأوائل من العلماء، في تصوراتهم للقضايا، وكيفية علاجها؛ فقد تكلم البوطي، عند حديثه عن روَاج كلمة الفكر الإسلامي، مخبرا عمن يقرؤون الواقع بقراءةٍ سطحية فقال: "لا بد من مطابقات هذه التصورات بحقائق الإسلام التي كشفت عنها علومه، ودلت عليه نصوصه".[٢٠]

فلا شك ولا غرابة أن البوطي يقصد بحقائق الإسلام العلل والحكم التصورية، فالبوطي يريد يوصل رسالة للذين يمجدون الفكر الإسلامي ويتحدثون عن إعجابهم به ويعتمدون في ذلك على أفكار مضيئة وعلل وحكم تصوروها عنه على حد فهمهم، وقناعتهم، وكذلك للذين ينتقدون الإسلام ويستشكلون كثيرا من أحكامه ومبادئه ويعتمدون على أفكار قاتمة تصوروها هم والآخرون، فتلك الفئتين لم تقيد أفكارها وتصورها بضوابط الحقائق العلمية الثابتة، بل أطلقت لأفكارها العنان، وتركتها تذهب في تصورها؛ ومن هنا يحصل الدمار لمقاصد الفكر الإسلامي ويَفْقَد المفكر تنميته وتطوره وقد أشار البوطي لذلك فقال: في هؤلاء "إن الأفكار المؤدية للإسلام ليس أقل خطرا على الإسلام من الأفكار المقاومة له".[٢١]

---

[١٩] البوطي، محمد سعيد رمضان. ١٩٩٠. عجبا لمن ينتقي من الإسلام زاوية يصبغ نفسه بها، خطبة جمعة. ص٣-٨.

[٢٠] المرجع السابق. ص١٢.

[٢١] المرجع السابق.

٢ـ المعرفة بالعلوم الجانبية

هناك الكثير من العلوم الجانبية كالفلسفات القديمة والمعاصرة، وعلم المنطق، والمسائل الطبية الشرعية والسياسة الشرعية والتاريخ الإسلامي والرياضيات؛ فهي مما ينبغي للمفكر والعالم والفقيه بعد استيعاب المصادر الشرعية أن يكون ملماً بها وله سعة اطلاع فيها فهناك الكثير من العلماء الأوائل والمعاصرين من له فيها سعة، فما الذي جعل الإمام الغزالي يدحض جميع الفلسفات والتصورات التي كانت تحاك ضد الدين والعقيدة الإسلامية؟ لا شك أنها سعة اطلاعه ودراسته لأكثر من سنتين لعلم الفلسفة، فكانت ثمرة تلك الدراسة هي نماء وتطور التصورات الفكرية وعللها عنده، حتى استطاع أن يرد ما دُسَ في فكر الكثيرين من أذكياء عصره؛ بل وهناك الكثير في وقتنا المعاصر من يجمع بين علم المصادر الشرعية وغيرها من العلوم.

فالناظر في مؤلفات البوطي يجده فنَّد كثيرا من الأقوال الفلسفية التي تحاك ضد العقيدة الإسلامية، وله الكثير من الفتاوى في المسائل الطبية الشرعية والسياسية. لذا لن يستطيع المفكر أن ينمي فكره وتصوراته، ويعرف النوازل بشتى أنواعها سواء في العقيدة أو الفتوى أو السياسة الشرعية إلا إذا كان ملما بهذه العلوم، وقد نوه البوطي إلى ذلك فقال: "سبيل الوصول إلى واقع الإسلام كما هو واقع في عقيدته وأحكامه سبيل شاق تحتاج إلى دراسة دقيقة لطائفة من العلوم، وهضمها وربط ما بينها وبين مدركاتها من النصوص الثابتة، وإدراكها بقواعد تفسير النصوص".[٢٢]

٣ـ الحواس الخمس

تتمثل الحواس الخمس بالبصر، والسمع والشم، والتذوق، واللمس، فهي نعمة من الله تعالى أنعم بها على الإنسان ليدرك الأشياء، والتعرف على ماهية الأمور، قال تعالى ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ٧٨) وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٦) فسؤال رب العباد ـ العباد يوم القيامة عن الحواس الخمس يدل على أنه يجب على الإنسان الحفاظ عليها، فبالحفاظ عليها من جميع المعاصي والسيئات ينمو فكر الإنسان، وقد دعا القرآن الكريم الناس إلى استعمالها ليصلوا عن طريقها إلى العلم النافع في مجال الدين والفكر الإسلامي.

وكل ما يَمُر في هذه الحواس يصل إلى محل التكليف وهو العقل، فهو المصدر الأساسي، والوسيلة العظمى لبناء الفكر الإسلامي، ولكننا نعني بالعقل العقل السليم الخالي عن الاضطرابات النفسية، والقائم في تدبره واعتباره على الضوابط الشرعية البعيدة عن اللغو والتطرف، والإفراط والتفريط.

[٢٢] المرجع السابق.

وقد أخبر البوطي عن وظيفة العقل فقال: "بأنه يقبل على الأشياء فيدركها على حقيقتها وأن يستدل بظواهر الأمور على ما ورائها، وأن يتوصل من وراء ذلك إلى معرفة الله وإلى الإيمان بوحدانية الله عز وجل".[٢٣]

وقد أشار القرآن الكريم إلى العديد من الآيات التي تدل دلالة واضحة أن العقل هو المصدر الأساسي لتنمية مقاصد الفكر، ولن نستطيع أن نصف العقل بالوسيلة لتنمية الفكر ومقصوده إلا إذا تحلى بهذه الجوانب التي تجعل منه مفكرا إسلاميا، وهي كالتالي:

أ ـ التفكر من حيث الكلية

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ والسحاب المسخر بينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ١٦٤). قال ابن كثير: "فكل ما في هذه الآية جعلت علامة وتصور لقوم يعقلون".[٢٤]

وقال فيها البوطي عند حديثه عن الحكمة السابعة والخمسون بعد المئة الثانية فقال: إن متعلقات التفكر الذي يأمر به الله تعالى في محكم تبيانه أحيانا تكون متعلقة بالمخلوقات من حيث دلالتها على وجود الخالق، وعلى البعث والنشور.[٢٥] فكلا التصوران يشيران إلى إدراك معنى العبودية لله تعالى، وإذا أدرك الإنسان معنى العبودية لله تعالى أزداد فكره نموا وصفاءً.

ب ـ التفكر من حيث الجزئية.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ (يس: ٦٨). يخبر الله عز وجل عن هذه الدار بأنها دار زوال، وانتقال إلى دار دوام واستقرار، ولهذا قال الله: أفلا يعقلون أي يتفكرون بعقولهم في ابتداء خلقهم ثم صيرورتهم إلى سن الشيبة، ثم إلى الشيخوخة ليعلموا أنهم خلقوا لدار آخرة لا زوال لها وانتقال.[٢٦]

فالذي ينجلي أن الله يستنكر على من يعمر ثم ينكس في خلقه حتى تظهر عليه تغيرات، وتحولات في جسمه وحواسه، وهو لم يعقلها بمعنى لم يتفكر في هذه التغيرات التي تحدث له في عمره ففيه

---

[٢٣] البوطي، محمد سعيد رمضان. ١٩٩٧. من الفكر والقلب، فصول من النقد في العلوم الاجتماعية والأدب. د.م: دار الفقيه للنشر والتوزيع. ص١٢٢.

[٢٤] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي. ١٩٩٩. تفسير القرآن العظيم. ج٤. ط٢. د.م: دار طيبة للنشر والتوزيع. ص٢٠١.

[٢٥] البوطي. ٢٠٠٣. الحكم العطائية شرح وتحليل. ص٣٣٥.

[٢٦] الصابوني، محمد على. ١٣٩٣هـ. مختصر تفسير بن كثير. ج٣. ط١. بيروت: دار القرآن الكريم. ص١٦١.

إشارة إلى التفكر حتى يثبت في نفسه صفة البقاء لله وإثبات صفة الفناء للمخلوق، وثبوت صفة البقاء لله دال على نماء فكره بهذه الوسيلة.

ج ـ التفكر من جانب التفاوت

قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الرعد: ٤).

يخبر الله أن هناك قطع متجاورة في الأرض منها قطع تنبت ما ينفع الناس، ومنها قطع سبخه مالحة لا تنبت شيئا ﴿وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ فمعنى الصنوان الأصول المجتمعة في منبت واحد، كالرمان والتين، وبعض النخيل، وغير الصنوان ما كان على أصل واحد كسائر الأشجار، وكلها تسقى بماء واحد، هذا حلو وهذا حامض، وهذا في أشد المرارة، وكذلك أشكالها وألوانها وهذا من أعظم الدلالات على الفاعل المختار الذي بقدرته فاوت بين الأشياء فجعل ربنا هذه علامات لقوم يعقلون.[٢٧]

يمكن القول لماذا جعل المولى عز وجل هذا التفاوت العجيب آية لقوم يعقلون لكي يتفكر الإنسان، وهذا دال على أهمية هذا الجانب في تنمية التصورات الفكرية.

٣ـ الإخلاص

الناظر في قوله تعالى﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (البينة: ٥). يجد أن الله شرط في العبادة الإخلاص، فكل العبادات التي يفعلها الإنسان لا تخرج عن المصادر التشريعية وعن الحواس الخمس، ولن يكون الفكر فكرا إسلاميا بالمعنى الحقيقي إلا إذا كان مربوطا بالإخلاص لله تعالى، فالناظر والمطلع على فكر البوطي يجده دائما يربط فكره بالمعرفة الربانية وبالإخلاص لله تعالى لا لأجل طلب المال ولا لأجل الشهرة، فقد كان رحمه الله دائما يدعو الله تعالى أن يثبته على الإخلاص والمعرفة فكان يقول: "اللهم إني أعرفك اليوم من دون أي وساطة من دليل، فثبتني اللهم على هذه المعرفة الصافية، عن شواغل الأقيسة والبراهين، ساعة ارتحالي من دنياي هذه إلى رحابك، وأكرم بمثل ذلك كل من يلتجئ إليك بمثل هذا الدعاء".[٢٨]

---

[٢٧] ابن كثير. ١٩٩٩. تفسير القرآن العظيم. ص٤٣١.

[٢٨] البوطي. ٢٠٠٣. الحكم العطائية شرح وتحليل. ص٣٢-٣٤.

فالمعرفة الصافية التي يطلب من الله أن يثبته عليها هي معرفة الله والإخلاص له والابتعاد عن الرياء والمجادلات، وهذا مما جعل فكره يتنامى نموا صحيحا وزاده معرفة علمية وقوى قدراته المقاصدية، وأكسبه قدرة فائقة حتى ربط القديم بالجديد، والحضور الدائم في كل المحافل والمؤتمرات العلمية والفكرية.

المبحث الثالث: دور مقاصد الفكر عند محمد سعيد رمضان البوطي

لم تكن التصورات التي كان يتصورها الشيخ البوطي في جميع مؤلفاته وبحوثه ومقالاته وخطبة المرئية والمسموعة تنحاز لجهة معينة لأجل مالٍ أو شهرةٍ أو مؤسسةٍ كما يقال: أو بحثاً عن المريدين، بل المطلع والناظر في شروحاته ومواقفه وفتاواه يجدها تتسم بالمصداقية والإخلاص، ضد كل من أراد التلاعب بالفكر الإسلامي ومبادئه، فقد كان شيخاً ينتمي إلى الطريقة الصوفية، لكنه وقف ضد الصوفية، وصحح ونبه إلى جميع البدع والخرافات التي يتمسكون بها، وما من جماعة إلا وله دور وريادة معهم إما بنصح أو ببيان أو تحذير أو بدفاع، أو استدراك، وقد أخبر، وأكد لنا مضمون تصوراته الفكرية فقال: "قررت أن لا أجعل لفكري الشخصي أي دور إلا أن يكون بيان أو إيضاح".[٢٩]

ولا شك أنَّ البيان والإيضاح الذي يقصده البوطي هو التصحيح للأفهام وبيان المقصود من التصورات الفكرية سواء كان من جانب الإيضاحات، أو التحذير أو الدفاع.

فبعد الاستقراء والمتابعة قسمت هذا الدور إلى عدة طرق، وذكرت بعض النماذج التطبيقية الدالة عليه فهي كالتالي:

طريق الإيضاح

بين البوطي معالم الإسلام، وحدوده، وأهدافه، فلم يكن فكره مقتصرا على سرد الشريعة بأحاديثها وأحكامها، بل ربط الأحكام بعللها وحكمها، وكشف الحروب الفكرية الخبيثة التي تسعى لهدم العقيدة الإسلامية، وردَ على كثير من المؤلفات والبحوث والمقالات لبعض الكتاب المسلمين والمستشرقين.

فكل هذه النماذج التي استقيتها من مؤلفاته لها غرض ومقصد فكري، فمن الإيضاحات التالي:

١. بين الحرب الخفية على الإسلام، التي تَسلحَ بها المستشرقون بعد أن فشلت كل الحروب والمحاولات الفكرية الخبيثة لهدم العقيدة الإسلامية، فتوجهوا إلى أصول الفقه، فتخذوه سلاحا للنيل من الشريعة الإسلامية، وقد أوضح البوطي فيه فقال: "ثم راحوا يفسحوا الطريق إلينا أمام كل ما تسفيه علينا رياح الغرب والشرق من مفاسد وموبقات توهموها مصالح، وسببا للرقي، وقالوا أنها

[٢٩] البوطي. ١٩٩٣. الجهاد في الإسلام، كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟. ص١٢-١٣.

كلها مصالح، ثم استداروا إلى أصول الفقه الإسلامي فقالوا المصالح معتبرة في الإسلام، وقالوا أن مدنية الغرب بأوضارها، ونظم الشرق بماديتها، وفسادها معتبرة في الإسلام!".[٣٠]

فالغرض من هذا الإيضاح لكيلا تنسجم عقول الباحثين، والقراء بما يقوله الغرب وينجروا بعدهم فيهدمون الدين والعقيدة والفكر الإسلامي بدون شعور تحت مسمى مصالح معتبرة في الإسلام.

٢. عندما رأى البوطي كثرة المؤلفات، والمقالات عن الحضارة، وأهميتها لكتَّاب مسلمين ومستشرقين، وكلها تسلك في معالجة الحضارة مسلكا وصفيا أنيقا، يقوم في الغالب وسط إطار من مظاهر الدهشة، وعبارات الإكبار والإعجاب، وربما جاء كله أو جله مقرونا برسوم وصور موثقة، تزيد من مقتضيات الإعجاب بها والتمجيد لها.[٣١]

فقد أوضح فيه ما تركه الباحثون الذين يظنون أنهم بحثوا عن الحضارة! ولم يعثروا على أصول متكاملة تصلح أن يتكون منها منهج تربوي إسلامي كامل، أو نظريه كامله للتربية الإسلامية، تنبع من منظور الكتاب، والسنة، ثم قال بأن جذور الحضارة الإنسانية هي جذور للتربية الإنسانية المثلى، إذ أن الحضارة الإنسانية ليست أكثر من ثمار لجهود التعاون الإنساني، في نطاق الاستفادة من ذخر الأرض وخيرها، ومقصود البوطي من ذلك هو اعادة الميل الذي مال به الكاتبون والقراء حول الحضارة الإسلامية، حتى تُعاد للحضارة قيمتها وأهميتها في المنهج الرباني، والأمة الإسلامية.

طريق التحذيرات والدفاع

المطلع على حديث العلماء قديما وحديثا يجد لديهم الكثير من التحذيرات والدفاعات ضد كل ما يخرج الأحكام والمواقف النبوية عن مقصودها ومدلولها، وذلك مسلك القرآن والسنة النبوية، ومسلك ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فالمطلع على التحذيرات التي كان يصدرها البوطي عند حديثه في الشريعة الإسلامية يجدها متنوعة بين التحذير والردع والنصح والإرشاد من الجاهلين والمغاليين، وطرفي الإفراط والتفريط، فمن ذلك التالي:

١. حذر مما يحدث في بعض مجالس الصوفية من البدع المخالفة لمقاصد الشريعة من وقوف المريد عليهم، وهم جلوس يقف الواحد منهم في انكسار وذل مطرقا لا يطرف إلا أن يؤذن له بالجلوس، وأيضاً ما يفعله بعضهم من السجود على ركبة الشيخ أو يده عند قدومه أو ما يفعله من الحبو

[٣٠] البوطي. ١٩٦٥. ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية. ص١٢.

[٣١] البوطي، محمد سعيد رمضان. منهج الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم، آفاق معرفة متجددة. د.م: د.ن. ص٩.

عندما يغشى المجلس، ثم نبه المسلم إلى عدم الانجرار إلى ذلك نافيا أن يكون ذلك من أسلوب التربية، ومنوها بأن الإسلام قد وضح ضوابط وشروط للمسلم يسير عليها ولا يجوز له الخروج عنها أو مضمونها فقال: "لا يخدعنك ما قد يقال: في تسويغ ذلك من أنه من أسلوب التربية للمريد، فالإسلام قد شرع مناهج وأساليب التربية وحظر على المسلمين الخروج عليها، وليس بعد الأسلوب النبوي في التربية من أسلوب يقر عليه أو يعاج عليه.[٣٢]

٢. نبه إلى ما يتلبس به بعض الذاكرين من التفوه بأصوات ليست من ألفاظ الذكر في شيء، وإنما هي حمحمات وهمهمات تُصَاعد من حلوقهم ليتكون منها دويء متناسق معين ينسجم مع توقيع المنشدين والمطربين فيحدث مزيدا من النشوة والطرب في النفوس، فتساءل البوطي مستغربا منهم واصفا لعملهم بالبدعة، فقال: "كيف يكون هذا ذكرا لله كالذي أمر الله به، والذي كان يفعله الرسول وأصحابه، فلم يفعل ذلك إلا قلة مبتدعه شرعوا من الدين مالم يأذن به الله فكم من محرمات أستحلوها ومن موبقات ارتكبوها باسم الوجد أو التواجد آنا وباسم الانعتاق من رقبة التكاليف آنا أخر".[٣٣]

٣. عند حديثه عن الوجد في وقت الذكر، وعن الحركات التي تشبه الرقص بدون قصد ولا اختيار، فقد استنكر وحذر على من ينسجون على منوالهم تقليدا لهم، وأفئدتهم خاوية، عن هذا الحال فهم أنما يمارسون بذلك نوعا من النفاق بالإضافة، إلى كونهم يخالفون في عملهم التقليدي أحكام الشرع، ... ثم أخبر بأن والده كان من أشد العلماء إنكارا لتكلف هذه الحال، واختلاف نتائجه دون وجود لمقدماته.[٣٤]

٤. استنكر على بعض المريدين الذين يرون الخوارق على أنها كرامات عن شيوخهم دليلا على ولاياتهم وعظيم قربهم من الله فقال: "ما يردده بعض المريدين عن مشايخهم من اختزال المسافات تحت أقدامهم والطيَّ الذي يختصر لهم حواجز ما بين البلدان المتباعدة في دقائق ولحظات، واصفا ذلك بالمبالغات، وربما بالأكاذيب، ويعود سبب ذلك للحب لشيوخهم أو العصبية التي تلعب دورا كبيرا فيهم. ثم قال: لو وقفت على الكثير من هذه المبالغات التي يختلقونها بوسعك تلاحظ أثر العصبية في ذلك".[٣٥]

---

[٣٢] البوطي. ١٩٩١. فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة دراسات منهجية علمية لسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وما تنطوي عليه من عظات ومبادئ وأحكام. ص٣٣٥.

[٣٣] المرجع السابق. ص٤٤٤.

[٣٤] البوطي. ٢٠٠٣. الحكم العطائية شرح وتحليل. ص٣٠.

[٣٥] المرجع السابق. ص٧٥.

٥. حذر الدعاة من ممارسة السياسية قبل التمكن في الدين، وأن لا يستخدموا الدين طريقا للوصول إلى الحكم والملك، وبين القصد من إرشاده وتحذيره فقال: "حتى لا تشوب هوياتهم الإسلامية شائبة قصد سياسي فتزول ثقة الناس بهم فإذا تغلب الخير وشاع الالتزام بدين الله في المجتمع اصطبغ الحكم آليا بصبغة الإسلام ونظامه، فإذا ظلت رغبتهم مع ذلك باقيه في بلوغ الحكم، فهم إذن طلاب مغنم دنيوي لا طلاب جهاد إسلامي"[٣٦]

٦. استنكر عندما استفتاه سائل عن بعض الصوفية الذين يقولون أن المريد الذي يريد يخرج من الطريقة التي عاهد شيخه فيها إلى طريقة أخرى فهو مرتد. فردَّ البوطي ردا قائما على ضوابط الشرع لم ينحاز إلى منهجيته بل قال: "لم يقل الله في قرآنه ولا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديثه ولا أحدا من علماء العقيدة أو الشريعة أن خروج المسلم من طريقة من طرق التصوف إلى طريقة أخرى تخرجه من الإسلام، فوضح البوطي موقفه من هؤلاء الصوفية مع أنه يحمل منهج التصوف، ومن محبيه إلا أنه أظهر الموقف الصحيح، ولم يجامل ولم ينحز لهم؛ وهذا مما يدل على أن البوطي كانت مواقفه تسير على منهجية الوسطية الشرعية، ومما يدل على ذلك هو نصيحته إلى عدم الالتفاف إلى مشايخ طرق الصوفية الذين لا توجد لديهم حصيلة علمية واسعة فقال "المشكلة أن قسما كبيرا من مشايخ الطرق جهال ليست لهم ثقافة شرعية كافية، ولا معرفة كافيه بمبادئ العقيدة الإسلامية عدا ما يعانون منه من العصبية لأفكارهم وقناعتهم الصوفية، فلا تلتفت إلى ما يقوله: هؤلاء الجهال الذين يحاولوا أن يكثروا من مريديهم وينافسوا غيرهم بهذه الطريقة".[٣٧]

٧. اعترض واستنكر على خطأ كبير يتورط فيه بعض المرشدات، الصوفيات فقال: "الكثير منهن تفاجئ طالباتها أو مريداتها خلال الدقائق الأولى من جلوسها إليهن بأنها تشم رائحة معصية تسود المجلس، فإن عليها أن تغادر المجلس حتى تتوب من المعصية، فبين البوطي الغرض من هذه الفعل بأنه يوحي إلى المريدات بأن المرشدة بصيرة بسرائرهن خبيرة بالخفي من أوضاعهن إذ أنها تتمتع بصفاء روحي وروحاني، يمتعها بالكشف ويرفع عنها الحجاب، فبين البوطي موقفه من تلك المرشدات مستندا بواقع النبوة فقال فمتى كان المرشدون الربانيون بدءاً من الرسل والأنبياء، يوحون إلى اتباعهم هذه الدعوى، ويزوجونهم في هذا القلق المهلك".[٣٨]

٨. عندما حاول بعض الكتاب، وبعض السلفية بحديثهم عن منهجية الإمام الغزالي أن يوجهوا عقول الناس والباحثين إلى الفلسفات التي تركن نفوسهم إليها ويريدوا أن ينهجوا بالأفكار منهجا ماديا

---

[٣٦] البوطي. ١٩٩٣. الجهاد في الإسلام، كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟. ص١٩٥.

[٣٧] البوطي، محمد سعيد رمضان. استفتاءات الناس. د.م: د.ن. http://www.naseemalsham.com

[٣٨] البوطي. ٢٠٠٣. الحكم العطائية شرح وتحليل. ص٤٠.

ينأ عن الصراط الإسلامي، ومبادئه، فهؤلاء ينهجون إلى فلسفة أمثال ابن سينا وابن رشد والفارابي ومن سلك مسلكهم، والغريب أن فلسفة هؤلاء تمثل الفكر التقليدي الرجعي القديم المتقوقع في الفلسفات الإغريقية القديمة، وأيضا ما يقوله بعض السلفية بأنه شذ عن صراط السلف وهديه وانحرف بذلك وابتدع!.[٣٩]

فدافع البوطي عن الإمام الغزالي وبين فلسفة الإمام الغزالي بأنها تحمل الفكر التقدمي المتجدد الثائر على القديم الذي تبين خطؤه، وكذلك ما يقوله السلفية بأنه شذ عن صراط السلف، فقد تسأل البوطي فقال، وهل الذي حصن العقل الإسلامي المتحرر ضد وباء تلك الفلسفة وغثائها أحد غير الغزالي عندما تعلمها فكشف الزيف الذي فيها، وأطفأ بريقه الخداع بموازينه العلمية الدقيقة، ثم رمى به بعيدا في أودية الإهمال والنسيان؟

ومقصود البوطي من دفاعه عن الغزالي هو الحفاظ على التراث الإسلامي الذي أبدعه الإمام الغزالي، فلو أن تلك الأقوال التي تقال على الإمام الغزالي ولم يوجد من يرد عليها ولا يدافع عنها لانتشرت بين العامة والخاصة ولكانت سلبيتها أكثر من إيجابياتها، وبهذا سيكون دمار الفكر الإسلامي.

٩. عندما اعتمد بعض الكاتبين في جواز تخصيص السنة بالمصلحة بحجة أن مالكا رحمه الله كان لا يبالي أن يخصص أخبار الآحاد بالمصلحة المرسلة، كما جاء في المدخل إلى علم أصول الفقه، قوله: والطائفة الثانية تأخذ بالمصلحة، ولو لم يكن لها أصل يشهد لها بالاعتبار، غير أنهم يقفون بها موقف المعارضة للنصوص ويخصصون بها النصوص التي لا تكون قطعية، وقد أخذ بذلك المالكية، فدافع البوطي ما نُسب إلى الإمام مالك فقال: لا يوجد في فقه الإمام مالك ما يسمى بتخصيص المصلحة المرسلة أو المجردة للسنة أو الكتاب بل ولا يتصور ذلك أن تأتي المصلحة المرسلة مخالفة لكتاب أو سنة إذ أن ذلك إخلال بإرسالها، ولكن الأمر قد يشتبه على من لم يقف على أصوله في الاجتهاد عند تعارض النصوص مع بعضها أو تعارض النصوص مع القياس.

١٠. عندما توهم كثير من الكتاب أن سد الذرائع من خواص الإمام مالك نفى البوطي مدافعا عن ذلك ومبينا أن الذرائع ثلاثة أقسام قسم أجمعت الأمة على سده ومنعه وحسمه كحفر الآبار في طرق المسلمين فأنها مؤدية لهلاكهم، وقسم أجمعت الأمة على عدم منعه وأنه ذريعة لا تسد ووسيلة لا تحسم كالمنع من زراعة العنب خشية الخمر، وقسم اختلف فيه العلماء هل يسد أم لا

[٣٩] البوطي، محمد سعيد رمضان. ١٩٨٦. الإمام الغزالي ذو فكر منهجي فذ واختصاصات علمية شتى. مجلة التراث العربي. يناير. ص١١.

كبيوع الآجال ومسائل الإمام مالك في البيوع تصل إلى ألف مسألة اختص بها مالك وخالفه الشافعي، واستدل بكلام الإمام القرافي.[٤٠]

طريق الاستدراك

المطلع والمدقق في مؤلفات البوطي يجد أنه استدرك على الكثير من الكتاب والمؤلفين والمفكرين والفقهاء وليس استدراكه محصورا بفئة معينة أو جماعة مخصوصة، فحيثما وجد الخطأ أو الخروج عن الشرع ومقصوده أو الكلام المغلوط استدرك عليه، ورده إلى صوابه، والقصد من ذلك حفاظا على الدين والفكر من التلاعب والانحدار فمن الاستدراكات التالي:

عندما تحدث البوطي عن منهج الإمام الشافعي، بكونها رمزا بل تأريخا لنشأة البحث عن المعرفة استدرك البوطي على بعض الكاتبين والباحثين الذين يتحدثون في حديثهم ومدوناتهم ويقولون أن الإمام الشافعي هو أول من وضع علم أصول الفقه، فاستدرك البوطي على هذا القول بأنه غير دقيق، ويعني هذا بأنه أول من أكتشف علم أصول الفقه، واتخذه منهاجا في اجتهاداته الفقهية، فإن استعمال المنهج الأصولي يعود إلى ما قبل عصر الشافعي، بل لا نشك في استعماله والاعتماد عليه بدءاً من عصر الصحابة، فإن فكرة أصول الفقه لم تصل إلى الشافعي إلا وقد بلغت أطواراً عديدة، وبلغت حدا كبيراً من النضج، فإن التعبير السليم الذي يمكن أن نتخذه هو أن الشافعي أول من دون أصول الفقه وأصَّل قواعده، وهو التعبير الذي جنح إليه قدماء المحققين كالجويني والإمام الرازي وابن خلدون.[٤١]

بعد حديث البوطي عن اليقين العلمي، واليقين التدريبي الذي تحدث عنهما الإمام الغزالي في كتبه، وجزم البوطي أن أول من كشف عن الفرق بين اليقين العلمي واليقين التدريبي، هو الإمام الغزالي، وكم من أوصاف إيجابية يصف البوطي بها الإمام الغزالي من حيث منهجية علمه، وفكره وإخلاصه، لكنه استدرك عليه من خلال كتابه إحياء علوم الدين، فقد وصفه بالكتاب النادر، ومن أعاجيب المؤلفات في تاريخ التشريع الإسلامي، إلا أنه قال: هذا الكتاب فيه ثغرة من النقص، وهي وجود كثير من الأحاديث الضعيفة وربما الأحاديث الموضوعة، وقد قيض الله من يأتي بعد الغزالي ويتدارك هذا النقص وهذه الثغرة، فقد أقبل العراقي ٨٠٦هـ، وجمع الأحاديث الواردة، وكان ذيلا مباركا.[٤٢]

---

[٤٠] البوطي. ١٩٦٥. ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية. ص١٨٨-٢٧٣.

[٤١] نسيم الشام. منهج الإمام الشافعي. ٢. http://www.naseemalsham.com

[٤٢] المرجع السابق. ص٩-١٠.

نتائج البحث

مما تقدم توصل الباحث إلى النتائج التالية:

١. الفكر الإسلامي السليم هو ما طابقتْ جميعُ علله وحكمه وتَصوراتْ مدْلولهِ مصادر التشريع، ومقْصدِه، ورُبِطَ بالمعرفة الربانية والعبودية لله، وإذا انفصل الفكر عن القصد والعبودية، فلا عبرة به لكون القصد جزء لا يتجزأ من المصدر.

٢. المفكر الإسلامي هو من يملك سعة الإطلاع على الكثير من العلوم المختلفة كعلم النفس والفلسفة والمنطق، وله القدرة على ربطها بمصادر التشريع واستنتاج مقاصدها.

٣. وسائل تنمية الفكر الإسلامي عند البوطي تبعد الإنسان عن الإفراط والتفريط، وتنمي عنده القدرة العقلية والفكرية، وتساعده على ربط التصورات الفكرية الحديثة بقديمها.

٤. دور مقاصد الفكر الإسلامي في جميع طرقه تحقيق لمعنى العبودية لله ونفع الآخرين، وليس خادما للصراعات، والمجادلات الخادمة للنفس والهوى والشيطان.

وعليه يوصي الباحث بالتالي:

١. يوصي الباحث جميع المفكرين والباحثين المعاصرين، أن يراعوا عند تصوراتهم الفكرية مصادر التشريع الرباني ومقاصدها، وأن لا يجعلوا الفكر يخرج عن إطار المقصد والحكمة التي جعل لها، فالتلاعب بالمقاصد تلاعب بالأحكام والتلاعب بالأحكام تلاعب بالمصادر الأساسية للتشريع القرآني والسنة النبوية.

٢. وأيضا يوصي الباحث بسعة الإطلاع على علم المنطق والفلسفة وغيرهما من العلوم؛ فهي الحل الذي من خلاله تُوجد القدرة على نزع وصد الأفكار والصراعات الدخيلة في التشريع الإسلامي.

المراجع

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي. ١٩٩٩. تفسير القرآن العظيم. ج٤. ط٢. د.م: دار طيبة للنشر والتوزيع.

إبراهيم مصطفى. المعجم الوسيط تحقيق مجمع اللغة العربية (دار الدعوة) .ج٢. د.م: د.ن.

باب حماية الملكية الفكرية في الفقه الإسلامي. ٢٠٠٥. العدد ٣. المؤتمر العالمي الثالث للاقتصاد. جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

البوطي، محمد سعيد رمضان. ١٩٨٦. الإمام الغزالي ذو فكر منهجي فذ واختصاصات علمية شتى. مجلة التراث العربي. يناير. ص١١.

البوطي، محمد سعيد رمضان. ١٩٩٣. الجهاد في الإسلام، كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟. ط١. دمشق: دار الفكر المعاصر.

البوطي، محمد سعيد رمضان. ٢٠٠٣. الحكم العطائية شرح وتحليل. ج٢. بيروت: دار الفكر المعاصر.

البوطي، محمد سعيد رمضان. منهج الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم، آفاق معرفة متجددة. د.م: د.ن.

البوطي، محمد سعيد رمضان. ١٩٩٠. عجبا لمن ينتقي من الإسلام زاوية يصبغ نفسه بها، خطبة جمعة.

البوطي، محمد سعيد رمضان. ١٩٩٧. من الفكر والقلب، فصول من النقد في العلوم الاجتماعية والأدب. د.م: دار الفقيه للنشر والتوزيع.

البوطي، محمد سعيد رمضان. ٢٠١٠. شرح كتاب الأشباه والنظائر للإمام السيوطي. الدرس الثاني (فيما شرعت النية لأجله). ٢٠١٠/٩/٢٨.

البوطي، محمد سعيد رمضان. ١٩٦٥. ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية. ط٢. د.م: مؤسسة الرسالة.

البوطي، محمد سعيد رمضان. ١٩٩١. فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة دراسات منهجية علمية لسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وما تنطوي عليه من عظات ومبادئ وأحكام. ط١١. بيروت: دار الفكر المعاصر.

البوطي، محمد سعيد رمضان. استفتاءات الناس. د.م: د.ن. http://www.naseemalsham.com

البوطي، محمد سعيد رمضان. ١٩٨٦. الإمام الغزالي ذو فكر منهجي فذ، واختصاصات علمية شتى. مجلة التراث العربي. دمشق العدد٢٢. يناير.

التهانوي، محمد علي بن علي. ١٩٩٦. كشف اصطلاحات الفنون. ج٣. بيروت: دار صادر.

الجويني، أبو المعالي عبد الملك. ١٩٨٥. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد. ط١. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني. د.ت. تاج العروس من جواهر القاموس. ج١٣. د.م: دار الهداية.

الصابوني، محمد على. ١٣٩٣هـ. مختصر تفسير بن كثير. ج٣. ط١. بيروت: دار القرآن الكريم.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد. ١٤١٥هـ. المعجم الأوسط. ج٦. القاهرة: دار الحرمين.

العلواني، طه جابر. ١٩٩٤. الأزمة الفكرية المعاصرة تشخيص ومقترحات. منتدى سور الأزبكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي هيرندن فرجينا رمضان.

الغزالي، أبو حامد. إحياء علوم الدين. ج٤. بيروت: دار الندوة الجديدة.

الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب. د.ت. القاموس المحيط. ج١. د.م: د.ن.

الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب. د.ت. المصباح المنير في شرح غريب الكبير. ج٢. د.م: د.ن.

نسيم الشام. منهج الإمام الشافعي. ٢. http://www.naseemalsham.com

REFERENCES

Abhath al-Mu'tamar al-Alami al-Thalith Li al-Iqtisad. *Bab Himayat al-Milkiyyat al-Fikriyyah Fi al-Fiqh al-Islami*. Jami'at Umm al-Qura. Makkat al-Mukarramah. Vol. 3.

Al-Alwani Taha Jabir. 1994. *al-Azmat al-Fikriyyat al-Mu'asirah Tashkhis Wa Muqtarahat*. Muntada Sur al-Azbakiyyah. N.pl: al-Ma'had al-Alami Li al-Fikr al-Islami Hirindin Firjina Ramadan.

Al-Buti, Muhammad Sa'id Ramadan. 1993. *al-Jhad fi al-Islam, Kayfa Nafhumuh? Wa Kayfa Numarisuh?*. al-Tab'at al-Uwla. Dimashq: Dar al-Fikr al-Mu'asir.

Al-Buti, Muhammad Sa'id Ramadan. 2003 *al-Hikam al-Ata'iyyah Sharh Wa Tahlil*. 5. Beirut: Dar al-Fikr al-Mu'asir.

Al-Buti, Muhammad Sa'id Ramadan. N.d. *Manhaj al-Hadarat al-Insaniyyah fi al-Qur'an al-Karim Afaq Ma'rifah Mutajaddidah*. N.pl: N.pb.

Al-Buti, Muhammad Sa'id Ramadan. 1990. *Ajaban Li Man Yantaqi Min al-Islam Zawiyah Yasbagh Nafsahu Biha*. Khutbah Jum'ah.

Al-Buti, Muhammad Sa'id Ramadan. 1997. *Min al-Fikr Wa al-Qalbi, Fusul Min al-Naqd Fi al-Ulum al-Ijtima'iyyah Wa al-Adab*. N.pl: Dar al-Faqih Li al-Nashr Wa al-Tawzi'.

Al-Buti, Muhammad Sa'id Ramadan. 1965. *Dawabit al-Maslahah Fi al-Shari'at al-Islamiyyah*. N.pl: Mu'assasat al-Risalah.

Al-Buti, Muhammad Sa'id Ramadan. 1991. *Fiqh Al-Sirat al-Nabawiyyah Ma'a Mujaz Li Tarikh al-Khilafat al-Rashidat Dirasat Manhajiyyah Ilmiyyahh Li Sirat al-Mustafa Salla Allah Alayh Wasallam Wama Tantawi Ilayhi Min Izat Wa Mabadi' Wa Ahkam*. Ed. 11. Beirut: Dar al-Fikr al-Mu'asir.

Al-Buti, Muhammad Sa'id Ramadan. 1986. *Al-Imam al-Ghazali Dhu Fikr Manhaji Fadhdh Wa Ikhtisasat Ilmiyyah Shatta*. Majallat al-Turath al-Arabi. al-Adad 22. Yanayir. Dimashq: N.pb.

Al-Buti, Muhammad Sa'id Ramadan. 2010. *Sharh Kitab al-Ashbah Wa al-Naza'ir Li al-Imam al-Suyuti*. Al-Dars al-Thani (Fima Shuri 'at al-Niyyah Li Ajlihi). 28/9/2010.

Al-Fayruz Abadi, Muhammad bin Ya'qub. N.d. *Al-Qamus al-Muhit*. Vol. 1. N.pl: N.pb.

Al-Fayruz Abadi, Muhammad bin Ya'qub. N.d. *al-Misbah al-Munir Fi Sharh Gharib al-Kabir*. Vol . 2. N.pl: N.pb.

Al-Ghazali, Abu Hamid. N.d. *Ihya' Ulum al-Din*. Vol. 4. Beirut: Dar al-Nadwat al-Jadiddah.

Ibn Kathir Imad al-Din Abu al-Fida' Isma'il. 1374H. *Tafsir al-Qur'an al-Azim*. Vol. 1 al-Qahirah: Ihya' al-Kutub al-Arabiyyah.

Ibrahim Mustafa. N.d. *al-Mu'jam al-Wasit*. Tahqiq Majma' al-Lughah al-Arabiyyah. Vol. 2. Iskandariyyah: Dar al-Da'wah.

Al-Juwayni Abu al-Ma'ali Abd al-Malik. 1985. *Al-Irshad Ila Qawati' al-Adillah Fi Usul al-I'tiqad*. Ed. 1. Beirut: Mu'assasat al-Kutub al-Thaqafiyyah.

Al-Sabuni Muhammad Ali. 1393H. *Mukhtasar Tafsir Ibn Kathir*. Ed. 1. Vol. 3. Beirut: Dar al-Qur'an al-Karim.

Al-Tahanawi Muhammad Ali bin Ali. 1996. *Kashf Istilahat al-Funun*. Beirut: Dar Sadir.

Al-Tabrani, Abu al-Qasim Sulayman bin Ahmad. 1415H. *al-Mu'jam al-Awsat*. Al-Qahirah: Dar al-Haramayn.

Al-Zabidi, Muhammad bin Muhammad bin Abd al-Razzaq al-Husayni. N.d. *Taj al-Arus Min Jawahir al-Qamus*. Vol. 13. N.pl: Dar al-Hidayah.

Internet

Al-Buti, Muhammad Sa'id Ramadan. *Istifta'at al-Nas*. http://www.naseemalsham.com.

Mawqi' Maqalat Islam Web. Al-Mu'tamar al-Islami al-Thalith Ashar Li al-Majlis al-A'la Li al-Shu'un al-Islamiyyah. 9/7/2001. articles.islamweb.net.

Nasim al-Sham. *Manhaj al-Imam al-Shafi'i*. 2. http://www.naseemalsham.com.

نفي

الآراء الواردة في هذه المقالة هي آراء المؤلف. القناطر: مجلة الدراسات الإسلامية العالمية لن تكون مسؤولة عن أي خسارة أو ضرر أو مسؤولية أخرى بسبب استخدام مضمون هذه المقالة.